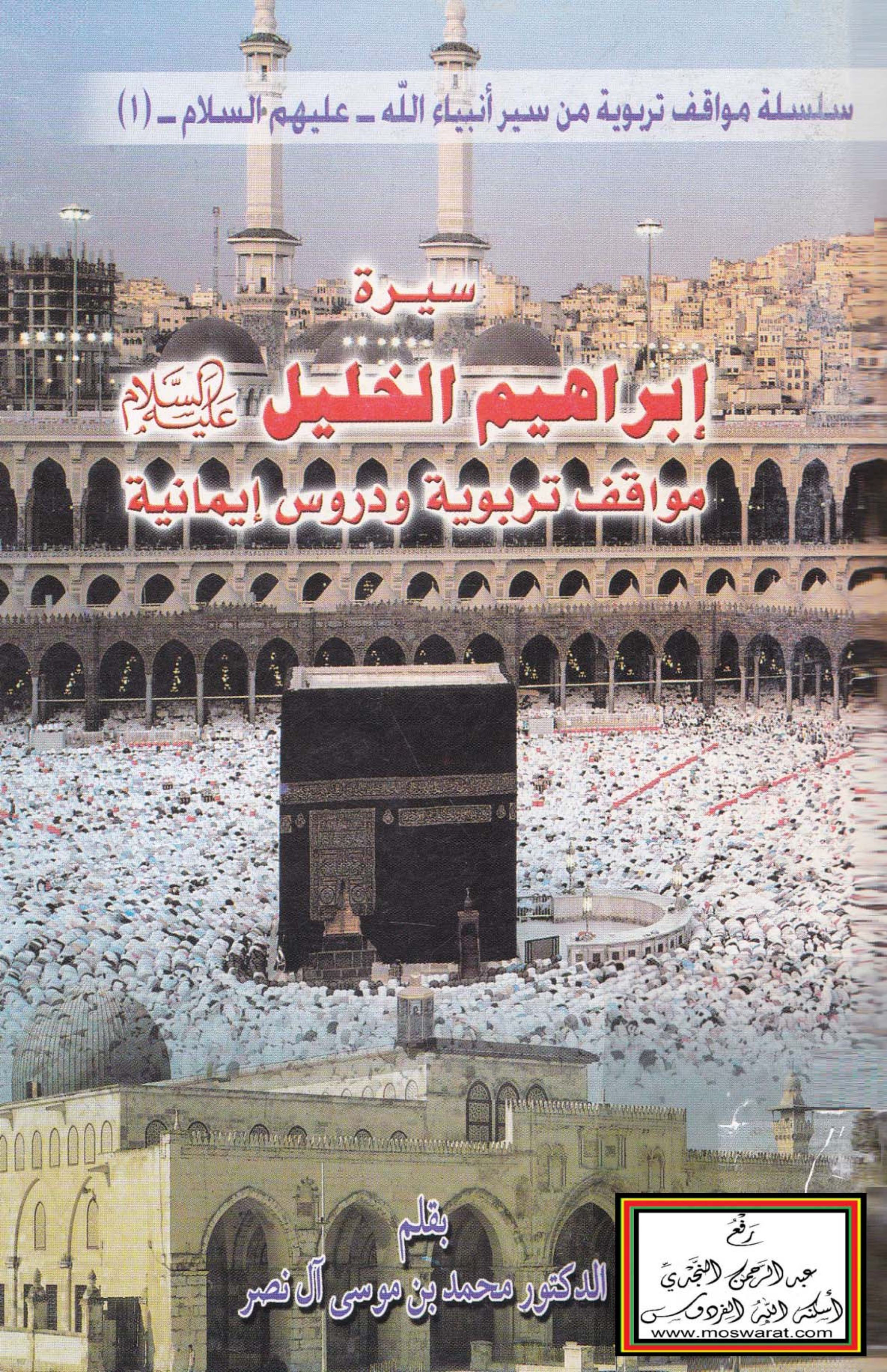

سلسلة مواقف تربوية من سير أنبياء الله ـ عليهم السلام ـ (١)
سيرة
إبراهيم الخليل عليه السلام
مواقف تربوية ودروس إيمانية
بقلم
الدكتور محمد بن موسى آل نصر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة مواقف تربوية من سير أنبياء الله -عليهم السلام-: (1)

سيرة
إبراهيم الخليل عليه السلام
مواقف تربوية ودروس إيمانية

يطلب من دار الإثرية

بقلم
الدكتور محمد بن موسى آل نصر

طبع على نفقة أحد المحسنين

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد:

فإنّ أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة، وكلّ ضلالةٍ في النار.

وبعد: فقد خلق الله الثقلين، وامتن عليهم بنعم عظمى ومنن جلّى، وابتلاهم فكان منهم الحريص المثابر والمقّصر المتواني فابتلى بعضهم ببعض، وفي ذلك يقول ربنا -جل وعلا-: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: 20]،

وفي الحديث القدسي يقول ربنا لنبيه ﷺ: ((إنما بعثتك لأبتليك وابتلي بك)). [1]

ويتجلى الابتلاء بالنبي ﷺ باتباعه في كل ما صغر وكبر ، ولما كان الانبياء أولاد علاّت؛ دينهم واحد وأمهاتهم شتى؛ كان في اتباع النبي ﷺ اتباع لهم ، ولا يكون الاتباع مجرداً عن المحبة ، وإذا تيقن العبد أن الأنبياء خير الخليقة ، وأهل ولاية الله الحقة ؛ أيقن بضرورة التأسي بهم فكيف إذا جاء الأمر صريحاً مِن الله باتباعهم؟ :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: 90] .

وقد قصَّ الله نبأ أنبيائه في كتابه ، وخيرهم أولو العزم مِن الرسل ، وخيرهم الخليلان إبراهيم ومحمد ﷺ ، وما قصها الله عبثاً: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي

---

(1) أخرجه مسلم (2865).

ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: 111].

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: 120].

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف: 3] .

وحديثنا في هذه الليلة(1) عن سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام ومواقفه وما يستفاد منها من دروس وعظات ، إذ هي الغاية ، وقبل ذلك كان لا بد من معرفة شيئ من فضائله عليه السلام حتى يكوت أبلغ في التأسي والأثر .

---

(1) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيتها في مسجد المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في عمان في شهر جمادى أولى 1427هـ. والله الموفق.

* فضائله الواردة في الكتاب والسنة كثيرة ومنها:

1- أنه إمام الحنفاء الذين تركوا الشرك ومالوا إلى التوحيد .

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: 120-123] . والأمَّة هو الذي يؤم بالخير .

وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا

قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 161].

وقال على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: 38].

فلم يكن في زمانه على ظهر الأرض موحد سواه وسوى زوجه سارة.

2- هو خليل الرحمن

قال -تعالى-: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: 125].

وقال النبي ﷺ: ((أني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم

خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً)) [1].

والخلة: هي أعلى درجات المحبة ، و لم يحظ بها سوى إبراهيم ومحمد –صلى الله عليهما وسلم –.

وقد أنكر هذه الفضيلة له أحد الضلاّل وهو الجعد بن درهم فضحى به والي خراسان خالد بن عبد الله القسري - رحمه الله – وذلكم في يوم عيد الأضحى فخطب خطبته ثم نزل فقال: أيها الناس تقبل الله ضحاياكم ، أما أضحيتي فالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، و لم يتخذ إبراهيم خليلاً. فتقدم إليه وضحى به ، فكانت نعمت الأضحية بأن يضحى بالمبتدعة والزنادقة والمشركين.

3- هو أحد أولي العزم مِن الرسل الذين أمر نبينا

---

(1) أخرجه مسلم (532) .

ﷺ بالصبر كما صبروا وخيرهم محمد ﷺ .

قال –جل وعلا–: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: 35].

وهم أهل العزيمة والصبر مِن أنبياء الله، فنالوا أعلى المراتب وأسمى الدرجات، وعدتهم خمسة: نوح ، وإبراهيم ، وموسى، وعيسى ، ومحمد –عليهم السلام.

4– ورد ذكره في خمس وعشرين سورة، بل سمى الله سورة باسمه من سور القرآن .

5– اختصه الله بأن جعل في ذريته النبوة والكتاب.

قال –تبارك وتعالى–: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الحديد: 26]

وإبراهيم من ذرية نوح –عليه السلام– .

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: 27] .

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: 84-86].

وقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ...... ﴾ [الأنعام: 84].

قيل: إن الضمير يعود إلى نوح لأنه أقرب

مذكور[1]، وقيل: بل يعود إلى إبراهيم لأنه هو الذي سيق الكلام لأجله ، ويكون ذكر لوط — وهو ابن أخيه— في ذريته كذكر إسماعيل في آباء يعقوب في قوله: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 133].

وقد أخرج الله من ذريته أفضل الأمم وهما العرب وبنو إسرائيل–وقد استبدلهم الله بالعرب لما غيّروا وبدّلوا وخالفوا منهج الله وقتلوا الأنبياء– ، بل أخرج

---

(1) قد يعود الضمير إلى أبعد مذكور أحياناً، ومثاله قوله –تعالى-: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ فعاد الاستثناء إلى القتل مع أنه أبعد مذكور ،لأن أقرب مذكور لا يسوغ عود الإستثناء إليه ، إذ لا تجوز ولاية الكافر على المسلم بحال.

من ذريته خير الخليقة وأشرفهم وهو محمد ﷺ ، وهو دعوة إبراهيم لما قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: 129] .

6- أثنى الله عليه ووصفه بالأوصاف الشريفة .

قال –تعالى-: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: 75].

وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114] .

والاواه: كثير الخشوع والتأله.

والمنيب: الرجاع إلى الحق .

والإنابة يعرفها الإمام ابن القيم؛فيقول: ((الإسراع إلى مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت وإخلاص

العمل)) [1] أو: ((هي عكوف القلب على الله وعلى محبته وذكره بالإجلال والتعظيم ، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ﷺ)) [2].

ووصفه بالإحسان والإيمان فقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: 109-111] .

وقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: 45-47] . فوصفهم الله بالفقه والبصيرة والعبادة والقوة في ذلك .

---

(1) ((مدارج السالكين)) (467/1).

(2) انظر ((الفوائد)) (ص 196).

وقال: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 73] .

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: 50] ، أي اختصهم بثناء الخلق عليهم .

وقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: 58] .

وقال: ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة: 130] .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 51] .

وقال: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: 41] . فجمع بين النبوة والخلة والصديقية.

7- قام بما أمر الله به .

قال -جل ثناؤه-: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة: 124] .

وقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: 37] .

8- ومن فضائله ما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية ، فقال رسول الله ﷺ: ((ذاك إبراهيم عليه السلام)) [1] وهذا من تواضعه ﷺ .

---

(1) أخرجه مسلم (2369) .

9- بلغ أعلى درجات الإيمان وهو اليقين .

قال ربنا -تقدست أسماؤه-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: 75] .

وقال: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ [الأنعام: 83] .

وسَأل إبراهيمُ ربَّه أن يريه كيف يحي الموتى ليصل إلى عين اليقين: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ [البقرة: 260].

فلم يكن إبراهيم شاكاً في قدرة الله —وحاشاه- بل أراد أن يرتقي من علم اليقين الى عين اليقين .

10 – أمرنا الله باتباع ملته والتأسي به .

قال –تعالى-: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: 4] .

وقال: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: 95].

وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: 125].

وقال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: 123] ، وهو أمر لأمة محمد ﷺ في شخص نبيها ﷺ.

وقال: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ

أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: 78] .

وكل ماورد عن إبراهيم فعله فإنه من شريعة محمد ﷺ إلا استغفاره لأبيه فلا يجوز الاستغفار للمشركين .

11- يذكره المسلمون كلما صلّوا ، وذكرها من أركان الصلاة .

12- هو أول الخلائق يكسى يوم القيامة .

قال رسول الله ﷺ: ((ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة: إبراهيم عليه السلام)) [1].

والناس في ذلك اليوم يكونون حفاة عراة غرلا .

13- اختصه الله واسماعيل ببناء بيته الحرام الذي

---

(1) أخرجه البخاري (6525) ومسلم (2860) (58) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

هو أشرف بيت وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود .

قال -تبارك وتعاظم-: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 127] .

وقال: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: 125].

وقال: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾ [آل عمران: 96-97] .

فلما بلغ إسماعيل أشده وأصبح رجلاً جاء أبوه -وكانت المرة الثانية- وقال: يابني إن الله أمرني أن أبني

هاهنا بيتاً للعابدين إلى يوم القيامة فقال له: سأعينك على ذلك.

فكان إبراهيم يبني واسماعيل يؤتيه الحجارة فلما تم بناؤه أذّن في الناس بالحج .

14- أمرنا الله باتخاذ مقامه مصلى بعد كل طواف بالبيت ، وهو الموضع الذي وقف عليه لبناء البيت .

قال -تبارك وتعالى-: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: 125] . وفي قراءة نافع: ﴿ واتَخَذُوا ﴾ بلفظ الخبر.

15 – وهبة الله إسماعيل وإسحاق وهو شيخ كبير.

قال -جل وعلا-: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾

[إبراهيم: 39].

وقال: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: 49].

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: 72].

فلا ينبغي لمن تأخر انجابه أن ييأس من رحمة الله، وعليه أن يكثر من الدعاء ؛ فالذي رزق إبراهيم وزكريا على الكبر قادر أن يرزقه ، وأن يكثر من الاستغفار:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: 10-12].

* **أما ما يتعلق بمواقفه عليه السلام وما يستفاد منها ، فمن مواقفه:**

1- صبره عليه السلام .

وقد ظهر ذلك في سيرته عليه السلام في أكثر من موطن فمن ذلك:

أولاً: صبره في الدعوة إلى التوحيد ، فقد نشأ بين قوم مشركين يعبدون الكواكب والشمس والقمر ويتقربون لها بالسجود والقرابين ، كما كانوا يعبدون الأصنام التي جعلوها على صورة الملائكة لتشفع لهم عند الله .

ومن ذلك مناظرته لقومه في عبادة الكواكب التي حكاها الله بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ

أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ
فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ
قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ
شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ
أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾ [الأنعام: 75-81]

وقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ على سبيل المناظرة والتقدير:

أهذا ربي ؟ وغايته منها إثبات بطلان ما يعبدون لأن الالهة التي تغيب لا تستحق العبادة .

وقال مخاطباً أباه وقومه: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 52-56] .

وقال الله –تعالى-: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ

يَفۡعَلُونَ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: 69-77] .

وقال: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 16-17] .

وقال: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: 85-87]

ومن ذلك: مناظرته لنمرود ملك الكنعانين كما حكاها الله بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 258]

ثانياً: صبره على فراق الولد والزوجه ، وذلك حينما أمره الله أن يدعهما في واد غير ذي زرع، ولا ضرع، ولا أنيس، ولا حسيس، فأعطى هاجر قربة ماء وجراب تمر وتركها وولدها في بطن الوادي قريباً من محل زمزم، ومضى وصعد الثنية ، وأخذ يدعو ربه: ﴿

رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37] . و لم يلتفت فقالت له هاجر: إلى من تتركنا يا إبراهيم ؟ آللّٰه أمرك بهذا ؟ قال: بلى ، فقالت: فإن الله لا يضّيعنا.

وفي هذا توكله عليه السلام ، وفيه حسن ظن هاجر بربها والتسليم لأمره فانظر الى اكرام الله لها بأن جعل من ولدها خير خلق الله على الاطلاق محمد ﷺ ، ولما نفد جراب التمر والماء وعطش إسماعيل صعدت هاجر الصفا تبحث عن الماء ونظرت ، وسعت إلى أن رقت المروة ونظرت مع خوفها على ابنها ، وهكذا كانت تتردد بينهما ؛ تسرع بينهما وتنظر أعلاهما ، وفي

الشوط السابع سمعت صوت الماء ؛ فجاءت فوجدت الماء ينبع من تحت قدمي إسماعيل فأخذت تزم الماء وتحوطه ، ولو تركته لكان عيناً معيناً كما قال النبي ﷺ [1]، أي: لكان نهراً يجري ، إلى أن نزلهم قبيلة من قبائل العرب يقال لهم: جُرْهم من قحطان فنشأ اسماعيل بينهم ثم تزوج منهم .

وقد كان إبراهيم تزوج هاجر بعد قدومه مصر هو وزوجه سارة ، وكانت أجمل النساء ، فبلغ ملك مصر يومذاك أنه جاءهم رجلٌ ومعه إمراة مِن أجمل النساء ، فرغبها لنفسه ، فقال لها إبراهيم: إن هذا الجبّار إن يعلم أنك إمراتي يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيركِ ، فأرسل الملك إليها فأُتي

(1) أخرجه البخاري (3364) .

بها وقام إبراهيم يصلي ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يدَه إليها ، فقُبضتْ يدُه قبضةً شديدة، فقال لها: ادعِ الله أن يطلق يدي ولا أضركِ، ففعلت، فعادَ فعادت مرتين ، وفي كل مرة يقبض أشدَ من المرة الأولى ، فلما أُطلق دعا الذي جاء بها فقال له: إنك أنما أتيتني بشيطان و لم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي وأعطِها هاجر ، فأخذت سارةُ هاجرَ ووهبتها لإبراهيم ليتسرى بها لعل الله أن يرزقه منها ولداً ، لأن سارة كانت عاقراً أول الأمر وهذا من حكم الله ، فولدت هاجر اسماعيل -وكان أبا العرب-، فاشتعلت الغيرة في قلب سارة وحلفت أن لا يساكنها إبراهيم مع هاجر ، فوضعها إبراهيم في مكة لحكمة أرادها الله لكي يعمر أرض الحجاز ويُقام بيته الحرام وتُقام شعيرة الحج .

ثالثاً: صبره على ذبح ولده إسماعيل ، وقد كان أمرُ

الله له بذلك مِن البلاء العظيم لشدة تعلقه به ، وقد جاءه على الكبر وهو وحيده ، ولذلك قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: 106-107] .

قال الإمام ابن القيم: ((فغاية ماكان يحذر ويخشى من ذبح ولده إنقطاع نسله ؛ فلما بذل ولده لله ، وبذل الولد نفسه ؛ ضاعف الله النسل وبارك فيه وكثُر حتى ملؤوا الدنيا ، وجعل الله النبوة والكتاب في ذريته خاصة ، وأخرج منهم محمداً ﷺ)) [1].

رابعاً: صبره على إلقائه في النار لّما علم قومه أنه هو الذي حطّم الأصنام فأرادوا الانتقام لها، وأججَّوا ناراً عظيمة مبالغةً في تعذيبه وإحراقه ، وإلا فإن ناراً يسيرة كافيةٌ بإحراقه ، فوضعوه في المنجنيق وألقوه ، فما كان

---

(1) ((مفتاح دار السعادة)) (300/1).

أن قال: حسبي الله ونعم الوكيل، إلا وجاء أمر الله بهذه النار: ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: 69-70] ، وقال في موضعٍ آخر:

﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: 24] .

ولما أُلقي في النار فزعت جميع الحيوانات التي خلقها الله إلى الماء وملأت أفواهها وصارت تقذف الماء على النار، إلا الوزغة -السام الأبرص- ؛ هذا الحيوان الخبيث صار ينفخ على النار ليزيدها إشتعالاً ، ولهذا جعل النبي ﷺ لمن يقتله بالضربة الأولى مائة حسنة لخبث قصده ، وهذا جزاء من عادى أولياء الله .

2- ومن مواقفه عليه السلام: قوته في الحق:

ويتمثل هذا في تغليظ القول في قومه وآلهتهم وتسفيه أحلامهم وذلك في قوله -تعالى-: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ

يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 54-67]

وكان قد اعتذر عن الذهاب معهم ليحطم الأصنام فلما قال: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: 57] سمعه آخرهم فلما رجعوا ووجدوا أصنامهم محطمة عرفوا أنه الفاعل.

ومن ذلك قوله ومن معه لقومهم: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا

وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: 4]

وهكذا المؤمن اذا أيقن أنه على الحق لم يبال بما يحدث له من الخلق واثقاً بنصر الله، وكما كان أصحاب الأخدود ، وكما كان من الصحابة كبلال وآل ياسر وخباب بن الأرت وغيرهم رضي الله عنهم .

وقصة إلقاء إبراهيم في النار لتحطيمه الاصنام مَن تأملها تذكر ماحدث قبل سنين بعد تحطيم أصنام بوذا في أفغانستان من ضجة عالمية بينما لم نر شيئاً حدث ولو قليلاً بعد إحراق المسجد الأقصى قبل عقود فالله المستعان .

نبعى إلى المصطفى المختار شِرعتَه

كادت تزول من الجّهال للعدمِ

3- الإستجابة لأمر الله .

أولاً: التأذين بالحج: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27] .

ثانياً: ذبحه لولده إسماعيل .

قال -تعالى-: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ

وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: 99-107]، وقد كان ﷺ جاداً في ذبحه ولم يكن ليعلم أن الله سيفديه بذبح عظيم ولهذا ﴿ تَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾، فكان إسماعيل سريع الإجابة لأنه يعلم أن أباه لا ينطق عن الهوى يوحى إليه .

ثالثاً: الاختتان، فقد اختتن وهو ابن ثمانين سنة ، والختان للكبير صعب مؤلم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اختتن إبراهيم النبيُ ﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم)) [1]، والقدوم قيل: هي آلة النجر وقيل: موضع بالشام. والأول أولى.

4- بره بوالده والدعاء له والتلطف معه مع كونه مشركاً:

---

(1) أخرجه البخاري (3356)، ومسلم (2370).

قال –تعالى–: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: 42-43] ، ولم يقل له إنك جاهل ثم قال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: 44-45] ولما قال أبوه: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم: 46] قال له: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: 47-48] ، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ

عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 114]

وقد ضرب الخليل عليه السلام أروع الأمثلة في الولاء والبراء مع والده: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: 26-28].

وكذا ما كان من جده نوح عليه السلام من قبل لما أبى وَلَده الإيمان وارتقى جبلاً عالياً و﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: 23] ؛ ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ

ٱلْحَـٰكِمِينَ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [هود: 45-46]، وفي قراءة: ﴿ إِنَّهُۥ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ .

فلا ولاية بين أهل الشرك وأهل التوحيد ، وهذا ما جاء الأمر به صريحاً من الله لنبيه ﷺ في سورة الكافرون: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون: 1-6] .

5- حسن الأدب مع الله في ثنائه عليه في قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ
﴾ [الشعراء: 78-81]، وقرأ يعقوب من القراء بإثبات الياء فيها ، فنسب إبراهيم المرض إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله.

ولهذا يثني العبد على الله بذكر مربوباته التي يحبها فيقول: يارب جبرائيل ويارب ميكائيل ويارب محمد ، فالشر ليس إلى الله كما ثبت في دعاء النبي ﷺ [1].

ولا يذكر الشر في القرآن إلا على أحد ثلاثة وجوه:

الأول: أن يدخل الشر في عموم المخلوقات ، قال – تعالى–: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: 62] .

الثاني: أن يضاف الشر إلى السبب الفاعل كقوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: 2] ، وقوله: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ

---

(1) أخرجه مسلم (771).

حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: 79] ، وقوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف: 23].

الثالث: أن يحذف خالق الشر حقيقة وهو الله تأدباً كقول إبراهيم: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: 80] ، وكقول الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: 10] ، وكقوله — تعالى-: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: 7]، فحذف فاعل الغضب وأضاف الضلال إلى المحذوف .

فالشر واقع في قدر الله من حيث المقضي لا القضاء فيكون شراً بالنسبة إلى من تضرر به مع اشتماله على الحكمة البالغة.

6- **حسن الضيافة:** وذلك لمّا جاءه الملائكة على صورة بشر حسن الوجوه.

قال -تعالى-: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذريات: 24-27] .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: 69-70] .

وقال: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر: 51-53] .

وفي هذه القصة جملة من الأداب:

أولها: إدخال الطعام على الضيف لا أن يدخل الضيف على الطعام.

ثانيها: دعوة الضيف إلى الطعام وهو بين يديه بلطف كما قال لهم إبراهيم: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذريات: 27] .

ثالثها: إكرام الضيف وإن كان غريباً ، والغريب أولى بالضيافة من غيره ، ولهذا ماكان أحد يدخل بيت النبي ﷺ إلا وخرج طاعماً .

رابعها: سرعة إحضار الضيافة وهذا في قوله –تعالى–: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: 69] ، أي مشوي على الرضف.

وقوله: ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ [الذريات: 26] والفاء للتعقيب ، فكأن الضيافة كانت معدة تنتظر الأضياف.

7- اتخاذ المعاريض لدفع الشر أو جلب الخير ، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب .

واستخدمها في ثلاثة مواضع:

الأول: قوله لقومه معتذراً عن الذهاب معهم: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: 89] ليبقى ويكسر الأصنام، واراد أنه سقيم من شركهم والعبد يتأذى إذا رأى المعاصي في قومه أو أنه سيسقم يوماً لكونه بشراً.

الثاني: قوله لقومه: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ ﴾ [الأنبياء: 63] وأراد أنه إن نطقوا فسيكون كبيرهم الفاعل وهذا تعليقٌ بشرطٍ محال وقوعه ، فلن ينطقوا وهم سالمون فكيف وقد صاروا جذذاً ؟

الثالث: قوله لملك مصر عن سارة إنها أخته ، وأراد الأخوة في الإسلام .

8- سرعة البديهة ، وهذا من تسديد الله:

فقد قدم أرض جبّار ومعه سارة وكانت أجمل النساء -وليس ادل على ذلك حفيدها يوسفعليه السلام فقد اوتي شطر جمال آدم عليه السلام- فقال لهاابراهيم: إن هذا الجبّار إن يعلم إنكِ امرأتي يغلبني عليكِ فإن سألك فأخبريه إنكِ أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيركِ ، وهذا قبل لوط عليه السلام ، والله أعلم .

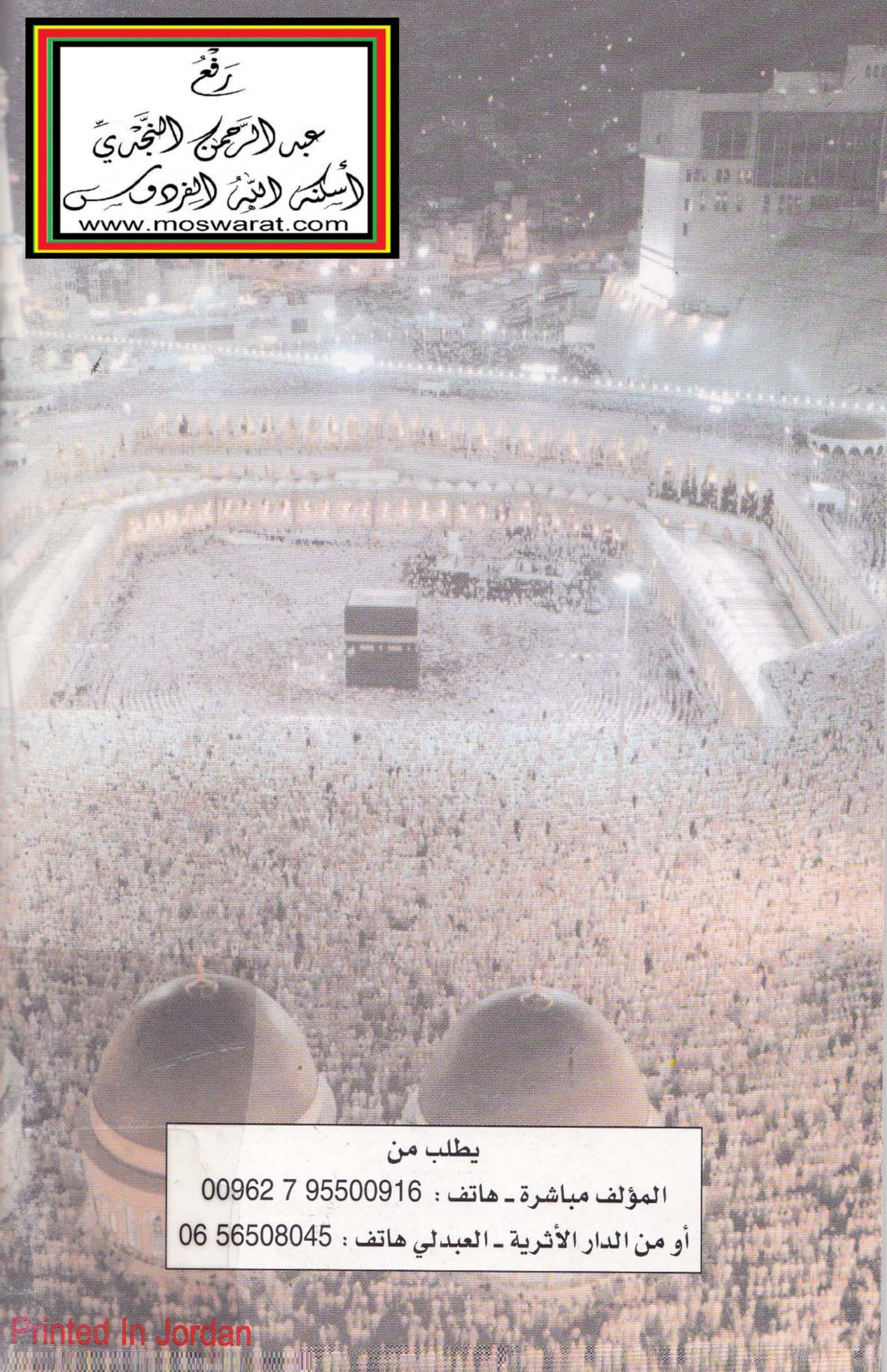
وفي **الختام** ، فما أحوجنا -أيها الأخوة- إلى النظر في قصص أنبياء الله لا سيّما أولي العزم من الرسل نظر تأمل وتبصر ، والموفق من لزم سبيل الفالحين وحذر سنن الهالكين.

والله نسأل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، إنه سميع لمن دعاه مجيب لمن صدَقه واتقاه .

وصلى الله على نبينا محمد المرسل إلى الخلق بأعظم منه ، الهادي إلى أقوام شريعة وسنة وعلى آله وصحبه، كلما انفلق صبح وحلّت ظلمة، وكلما سارت سحابة وانكشفت غمة.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



يطلب من
المؤلف مباشرة ـ هاتف : 00962 7 95500916
أو من الدار الأثرية ـ العبدلي هاتف : 06 56508045
Printed In Jordan